

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية

(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

سمات منهج أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين

دراسة تأصيلية

مشروع تفرغ علمي للفصل الثاني ٣٤-١٤٣٥هـ

إعداد

أ.د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) آل عمران: ١٠٢

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) النساء: ١

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلامُ الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فقد يسر الله سبحانه وتعالى لي وحظيت بإجازة تفرغ علمي لمدة فصل دراسي واحد، وقد رأيت أن يكون الموضوع الذي أكتب فيه (سمات منهج أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين دراسة تأصيلية).

وهذا الموضوع موضوع هام جداً؛ لأنه يتعلق بمعرفة المنهج الحق الذي سار عليه أهل السنة والجماعة، والذي يجب على كل من جاء بعدهم أن يسلكه، وكذلك فإن الفرق الإسلامية قد كثرت وتشعبت وادعت كلها الانتساب إلى الكتاب والسنة، وأن الحق معها لا يعدوها إلى غيرها، ولذلك وجب على طلاب العلم أن يعرفوا العلامات والسمات التي تُميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم. وبهذا تتجلى بوضوح أهمية الموضوع.

أسباب اختياره:

١. ضرورة معرفة منهج أهل السنة والجماعة، والتمسك به والعض عليه بالنواجذ؛ لأن في ذلك النجاة في الدنيا والآخرة.
٢. بيان الأدلة الشرعية على افتراق الأمة، وبيان أسباب النجاة عند الافتراق.
٣. محاولة جمع كلمة طلاب العلم ولا سيما المنتسبين إلى أهل السنة على كلمة سواء.

٤. بيان المناهج المخالفة لأهل السنة والجماعة، والتحذير منها.

إلى غير ذلك من الأسباب المعلومة لطلاب العلم.

أما الفائدة المرجوة من الكتابة في هذا الموضوع:

١. بيان فضل الإسلام، وأنه وسط بين الأديان.
 ٢. بيان وسطية مذهب أهل السنة والجماعة في سائر أمور الدين.
 ٣. كشف أهل البدع والتحذير منهم ببيان بُعد مناهجهم عن الكتاب والسنة.
- ومن الأدلة على وجود الاختلاف في باب الاعتقاد قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل

عمران: ١٠٣ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣

وقوله ﷺ: ((افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله قال: من كانت على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))^(١) وقوله ﷺ: ((ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله))^(٢).

وأجمع المختصون في علم العقيدة على ذلك، وكذلك ما يسمى بعلم الفرق، فإنه لم يتحدث عن افتراقهم في الصلاة أو الصيام أو الحج، وإنما يتحدث عن المعتقدات التي اشتهرت بها كل فرقة.

إذن الخلاف موجود ومتأصل في هذه الأمة، وهو خلاف في مصادر التلقي أولاً، وخلاف في طريقة التعامل مع هذه المصادر ثانياً، وخلاف في رجال عظمهم أقوام وفسقهم آخرون، وقد نتج عن هذا الخلاف تبديع وتفسيق وتكفير، واستباحة للدماء والأعراض، كما حذر النبي

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤١/١٩) برقم (١٢٢٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنة (١٩٧/٤-١٩٨) برقم (٤٥٩٦ و٤٥٩٧) من حديث أبي هريرة ومعاوية رضي الله عنهما، والترمذي في جامعه، أبواب الإيمان، ماجاء في افتراق الأمة (٢٦٤١/٥) برقم (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (١٣٢٢/٢) برقم (٣٩٩٢ و٣٩٩٣) من حديث عوف بن مالك وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﷺ ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)) (١٠١/٩) برقم (٧٣١١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)) (١٥٢٣/٣) برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه، واللفظ له.

ﷺ في خطبته المشهورة في حجة الوداع بقوله: ((لا تَرْجِعُوا بعدي كفارًا، يَضْرِبُ بعضُكم رِقَابَ بعضٍ))^(١).

والذي يهمننا هنا معرفة منهج أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح والطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وتمييزه عن بقية الفرق، والتمسك به والدعوة إليه والعضّ عليه بالنواجذ، كما قال ﷺ في حديث العرباض بن سارية المشهور: ((أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))^(٢).

وأعظم سبب لافتراق الأمة ولضياح كثير من شبابها هو جهلهم بمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولأهمية معرفة المنهج كان ﷺ يذكره في كل جمعة في خطبته ((إن أصدق الكلام كلام الله عز وجل وأن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))^(٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (١٧٦/٥) برقم (٤٤٠٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) (٨٢/١) برقم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٣/٢٨) برقم (١٧١٤٤)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٢٠٠/٤) برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في جامعه، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٤٤/٥) برقم (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفصائل الصحابة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١٥/١) برقم (٤٢). وصححه الملقن في البدر المنير (٥٨٢/٩)، والألباني في الإرواء برقم (٢٤٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) برقم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

وكلما بعد العهد عن تلك العصور الثلاثة زاد الاختلاف والافتراق وكانت الحاجة ماسة
لمعرفة منهج السلف الصالح.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وفهارس علمية.

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والفائدة المأمولة من الكتابة فيه إن شاء الله تعالى.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: أشهر المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: العمل بظاهر الكتاب والسنة في الأمور الاعتقادية والعملية، والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الثاني: لزوم طريقة النبي ﷺ والحذر من البدع وأهلها، والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الثالث: الصبر والثبات على ما جاء في الكتاب والسنة، والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الرابع: الاقتداء بالسلف الصالح والعناية بآثارهم والأخذ بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة، والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الخامس: حفظ العقول عن الخوض فيما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة من الأمور الغيبية، والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث السادس: محبة المسلمين والحرص على جماعتهم ووحدة كلمتهم، والرد على المخالفين في ذلك.

الخاتمة.

الفهارس العلمية.

منهج البحث

يقوم منهج البحث الذي أسير عليه في هذا البحث على ما يلي:

١. جمع المادة العلمية من مصدرها وترتيبها حسب مباحث البحث.
 ٢. الرجوع إلى كتب السلف الصالح والأخذ منها مباشرة ما تيسر ذلك.
 ٣. جمع أقوال المخالفين من كتبهم والأخذ منها مباشرة ما تيسر ذلك.
 ٤. نقل كلام العلماء في الرد على المخالفين بحرفه أو بمعناه.
 ٥. كتابة الآيات القرآنية برسم المصحف مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
 ٦. تخريج الأحاديث النبوية فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به وما كان في غيرهما فإني أخرج من مضانه مع بيان حكم العلماء عليه.
 ٧. عزو الأقوال والشواهد الشعرية إلى قائلها.
 ٨. الاكتفاء بنقل مذاهب المخالفين باختصار دون التوسع في ذكر شبههم.
 ٩. التوسط في الرد على المخالفين بما يتناسب مع طبيعة البحث.
 ١٠. عمل ما يتطلبه البحث العملي من تراجم وشرح للغريب وتعريف بالأماكن والفرق وفهارس علمية.
- وأسأل الله سبحانه وتعالى الإعانة والتوفيق السديد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: أشهر المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة ومعنى السمات.

السمات: جمع سمة، وهي الأمانة والعلامة التي تميز الناس بعضهم عن بعض، ومنه كذلك الوسم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥ وهم أهل الفراسة الذين يعرفون بعض بواطن الأمور ببعض علاماتها في الخارج، وعلمُ الفراسة علم مبني على تجارب القوم السابقين، ومنه كذلك نور يقذفه الله عز وجل في قلوب المؤمنين يحفظهم الله تعالى به في الدنيا قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٥

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله ممن درس هذا العلم وأخذه في رحلته إلى اليمن وله قصة عجيبة في هذا الباب، وكلما ازدادت خلطة الإنسان بالناس زادت فراسته بهم، وهذا كله مبني على تجارب الناس، بخلاف ما يقذفه الله في قلب عبده المؤمن كما في الحديث ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَاجْعَلْ لِي نُورًا)) (١).

والمنهج والنهج: هو الطريق والسنة.

أهل السنة والجماعة: أي أهل الاتباع للنبي ﷺ .

والسنة: بمعنى الطريقة، فكل من سار في دينه على طريقة النبي ﷺ فهو من أهل السنة، وأول ظهور لهذا الاسم كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم لما ظهرت فرقة القدريّة منكرة العلم، وصار الناس بهذا قسمين: أهل السنة، وهم المؤمنون بقضاء الله وقدره، وأهل البدعة وهم القدريّة منكرة العلم، وقد تبرأ منهم الصحابة رضي الله عنهم في أول ظهورهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل (٦٩/٨) برقم (٦٣١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٢٥/١) برقم (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والجماعة ضد الفرقة، وهي لازم اتباع النبي ﷺ، وكذلك يقال لهم أهل السنة والجماعة،
 وضده البدعة والفرقة، وكما لازم اتباع النبي ﷺ الاجتماع على القوة والعزة لزوم المخالفين لهديه
 والابتداع في دينه الفرقة والضعف والذلة قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَنَفْسُكُمُ
 وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦

ومن أسمائهم السلف الصالح، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الحديث والأثر.

المطلب الثاني: أشهر المخالفين لأهل السنة والجماعة

المخالفون لأهل السنة والجماعة كثيرون وأشهرهم: المتكلمون، والصوفية، والرافضة.

المتكلمون:

ينسبون إلى علم الكلام، وهم كل من اتخذ هذا العلم منهجاً له ومسلماً في باب العقائد،
 وهم فرق كثيرة متباينة متنافرة ومتعارضة، كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والمشبهة.
 فالجميع بنى معتقده على علم الكلام لكن اختلفوا في تفصيلات وفروع كثيرة بدع
 بعضهم بسببها بعضاً، مع أن أصولهم واحدة.

وقد عرّف هؤلاء علم الكلام بقولهم: "علم يتضمن الاستدلال على العقائد بالأدلة
 الكلامية ويتضمن الرد والمحااجة عن تلك العقائد بتلك الأدلة".

ولما تدبرنا طريقتهم في الاستدلال بعقائدهم وجدناهم مختلفين اختلافاً شديداً كما قال

تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢

وهذا يدلنا على أمور منها:

١. أن علم الكلام علم مبتدع لا خير فيه.
٢. أنه يوصل إلى أمور لا توافق ما عليه الكتاب والسنة.
٣. أنه يؤدي إلى اختلاف الأمة وتفرقها.

ولما نظرنا إلى هذه الشبهة التي يزعم المتكلمون ردّها وجدناها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شبهة باطلة كشبه أعداء الإسلام على الإسلام، وقد ردها الله تعالى في كتابه وردّها النبي ﷺ في سنته مما يغنينا عن هؤلاء المتكلمين وعلمهم.

ولما كان مردُّ هؤلاء المتكلمين على هذه الشبه مبنياً على أصول علم المنطق والكلام تأثر هؤلاء بهؤلاء المناطق الفلاسفة، وأدخلوا شُبّههم في الإسلام، وأصبح بعضهم مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا للكفر كسروا ولا للإسلام نصروا، بل أصبحت شبههم التي ترجموها عن أهل الفلسفة والمنطق من أعظم أسباب تفرق الأمة، فظهرت الجهمية بشبهها المترجمة المستوردة، وظهرت المعتزلة كذلك، وظهرت الأشاعرة والماتريدية، وأنشغلوا جميعاً برد شبه اخترعوها، فهذا يردُّ على هذا، وهذا يبدِّع هذا، وهذا يفسِّق هذا ويكفِّره، فأصاب الإسلام وأهله من ذلك بلاءٌ عظيم.

القسم الثاني: وهو ما يعتقد هؤلاء المتكلمين من فسادٍ في مذهب السلف الصالح؛ جهلاً منهم، فجَهِلُوا السلف الصالح رحمهم الله تعالى وضلُّوهم، ونسبوا إليهم ما لم يعتقدوه أبداً، ثم قاموا بعد ذلك بردِّ هذا المنسوب إلى السلف، فأصبح علم الكلام بعد ذلك ندّاً لكتاب الله تعالى وحكماً بزعمهم، وهو إلى يومنا هذا يمثل هذا الاتجاه، فلذلك نحن نعرِّف علم الكلام بما يلي: أنّه "عِلْمٌ يبحث في بعض العقائد البدعيّة ويردُّ على كل من خالف هذه العقائد البدعيّة بأدلةٍ جدليّةٍ منطقية، ولو أدّى ذلك إلى خلاف كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ".

ويقوم منهج المتكلمين على أصليّن:

١. تقديم العقل على النقل.

٢. تأويل النصوص.

الأصل الأول: تقديم العقل على النقل، وهو من أعظم أسباب فساد مناهج المتكلمين وتحسين الظن بعلم المنطق والكلام وبالفلاسفة المتقدمين وترجمة كتبهم وجعل كلامهم قواعد

مسلمة، وربطها بالعقل الذي يفيد العلم الضروري دون مؤثر خارجي، فقالوا: المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ والخلل في التفكير، وزعموا أنهم لجئوا لعلم الكلام من أجل ردّ شبه الفلاسفة الذين لا يؤمنون بنصوص الكتاب والسنة، ولكننا وللأسف الشديد وجدنا أكثر ردودهم على أهل السنة والجماعة العاملين بظاهر الكتاب والسنة، ومن أجل إحسان ظنهم بالعقل جعلوه أصلاً، وجعلوا الكتاب والسنة فرعاً، وجعلوه قطعي الثبوت والدلالة، فسوّوا العقل قطعياً والكتاب والسنة نقلاً ظنياً، وجعلوا العقل من باب اليقينيّات، وجعلوا الكتاب والسنة من باب الظنيّات، وجعلوا العقل حكماً على نصوص الكتاب والسنة، ثم قاموا بتقسيم المعتقد إلى قسمين:

١. الإلهيات.

٢. بقية المعتقد.

ويقصدون بالإلهيات: ما يتعلق بأسماء الله الحسنی وصفاته العليا وأفعاله سبحانه، وقالوا بعد هذا: هذا لا بد له من إيمانٍ قطعيّ يقينيّ، ولا وجه لتحقيق ذلك إلا أن يبنى هذا كله على أدلةٍ قطعيّةٍ يقينيّةٍ، وهي الأدلة العقلية السابقة، ولذلك قالوا: الأدلة أربعة: العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع.

وما يتعلق بالإلهيات إنما طريقه العقل فقط، ولذلك تركوا نصوص الكتاب والسنة جانباً واعتمدوا في إثبات ذلك على هذه الأدلة العقلية المترجمة، فقالوا: العقل أصلٌ والنقل فرعٌ؛ لأن النقل ما يثبت إلا عن طريق العقل، ولذلك يجب أن نعمل بالعقل ونترك النقل (وتقديم العقل على النقل أمر باطلٌ نقلاً وعقلاً).

ونحن لا نسلم لهؤلاء المتكلمين هذه القواعد المزعومة، وأنها تفيد العلم الضروري أبداً، بل نقول: إنها مترجمةٌ واجتهاداتٌ ونظرياتٌ لمن سبقهم من الفلاسفة، وافق بعضها العقل الضروري وخالفه بعضها، ووافق بعضها كذلك الفطرة السليمة والحس والواقع وخالف ذلك كله بعضها،

وليس ما نقلوه عن هؤلاء الفلاسفة علماً ضرورياً أبداً، بل هو كلامٌ غيره من الكلام، يُقبل ويُردّ.

ومن أعظم الأدلة على فساد هذا العلم:

١. فساد معتقد الفلاسفة مبتدعي هذا العلم، فأكثرهم دهرية لا يؤمنون بوجود الله أصلاً، والإلهيون منهم أكثرهم معطّلة في باب أسماء الله عز وجل وصفاته، ومشركون في باب الربوبية والألوهية، فكيف يُجعل كلام هؤلاء المعطّلة حكماً على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢. رجوع كثيرٍ ممن نصر هذا العلم واحتجّ به، وألف وكتب فيه، وناظر ودعا إليه، فرجعوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وتركوا هذا العلم وطعنوا فيه، كالرازي والشهرستاني والغزالي رحمهم الله.

٣. إن إعمال العقل في باب الإلهية مبنيٌّ على قاعدة باطلة وهي: تعارض الأدلة النقلية في هذا الباب مع الأدلة العقلية. وهي مبنيّة على ظنٍ وتخريص، فنحن لا نسلّم بوجود تعارضٍ أبداً بين العقل الصحيح والنقل الصحيح، فإنّ من أعظم ما يميز الإسلام موافقة عباداته ومعاملاته وأخلاقه للعقل الصحيح والصريح وللضرورة السليمة وللحس والواقع، فكلّ ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة تقبله العقول السليمة الخالية من المؤثرات الخارجية، وتقبله كذلك الفطرة السليمة الخالية من المؤثرات الخارجية، وهو موافقٌ قطعاً للحس والواقع عند عامة المسلمين الذين يفقهون اللسان العربي، أو الذين تُقلّت إليهم نصوص الكتاب والسنة بترجمة صحيحة، ولذلك لم نسمع عامياً من عوام المسلمين سأل: كيف يد الله؟ أو كيف قدمه؟ أو كيف ساقه؟ أو كيف نزوله؟ أو كيف استواؤه؟ بل وجدنا القلوب تتجه عند الدعاء إلى جهة العلو المطلق، ووجدنا العباد كذلك يحرصون على قيام الثلث الأخير من الليل؛ لأنه وقت النزول الإلهي، دون أن يسألوا كيف ينزل، أو يخلو العرش أو لا، وهذا دليل ظاهرٌ واضحٌ على أن ادّعاء التعارض شبهةً نقلها هؤلاء الفلاسفة، ولا وجود لها في الواقع.

ثم يقال لهؤلاء مثلاً: إذا وجدنا تعارضاً فقال الفلاسفة بقولٍ وقالت الجهمية بقولٍ وقالت الأشاعرة بقولٍ وقالت الماتريدية بقولٍ، فقولُ مَنْ نقدّم؟ وعقلُ مَنْ نقبل؟ وليس أحد هؤلاء بأولى من الآخر أبداً، فالجميع يزعمون أنَّ العقل معهم، وأنَّ ما قالوه أفاده العقل ضرورةً، وأقوالهم متباينة تبايناً واضحاً، والحق أن الجميع تركوا العقل والنقل معاً.

فإذا قالوا: كيف نترك العقل وهو دليلنا إلى النقل؛ لأن النقل لم يثبت إلا عن طريق العقل

فقط؟

فالجواب على هذا: نحن لا نسلم أن النقل إنما ثبت عن طريق العقل فقط، فالإيمان بالله عز وجل أمرٌ فطريٌّ ثابتٌ دون النظر إلى هذه الأدلة العقلية أبداً؛ لأن القرآن كلام الله المنزل على رسوله أعظم برهانٍ وأعظم حجةٍ على ما يتعلق بالدين كله، ولا سيما في باب الغيبات التي يسميها هؤلاء ما وراء الطبيعة، ولذلك فإن الزعم بأن النقل متوقفٌ قبوله على العقل كلامٌ باطل.

وقد ضرب العلماء لذلك مثلاً فقالوا: لو قلنا إنَّ المراد بالعقل تدبُّر العقل السليم في طُرُق ثبوت كتاب الله وسنة رسوله فإنَّ هذا حقٌّ، فإنَّ العقول السليمة تُرشد أصحابها إلى ما يُصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وتميِّز لهم الحق من الباطل والنافع من الضار، وقد ميَّزت عقولنا كلام الله تعالى عن كلام غيره، وكلام رسوله ﷺ عن كلام غيره، وميَّزت صحيحه من سقيمِه وشهدت بذلك شهاداتٍ قطعيةً لا تُردُّ أبداً، والشاهد ليس خصماً في القضية ولا حكماً، فحين تشهد العقول السليمة أن القرآن كلام الله وأنَّ ما في البخاري ومسلم كلام النبي ﷺ فإنها بعد ذلك تستسلم وتنقاد لكلام الله وكلام رسوله بعد الشهادة لهما بثبوتهما، فالمؤذن إذا قال: "حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح" نزل وصلى بعد أن أعلم الناس ودعا إلى ذلك، والعامي إذا سأله عن عالمٍ من العلماء فأخذه إليه قد دلَّك وأرشدك إليه، فإذا سألت العالم

وأفتاك وعارض العامي كلام العالم فليس للعامي بعد هذا أن يقول: كيف تقبل كلام العالم وتطرح كلامي، وأنا الذي دللتك عليه، وما عرفت هذا العالم إلا عن طريقي!
وكذلك من كان في صحراء تائهاً فوجد رجلاً من أهل البلد، وعرف بقرائن عدّة خيرة هذا الرجل في الصحراء، فسأله عن الطريق فدله، فهل يجوز له أن يخالفه إلا لمن هو أعلم منه؟ ولا أحد أعلم من الله ورسوله ﷺ.

الأصل الثاني عند المتكلمين: تأويل النصوص:

تقدم معنا أنّ الأصل في مذاهب أهل البدع لبس الحق بالباطل، واستعمال بعض المصطلحات في غير موضعها، من باب التدليس والتلبيس على ضعاف طلبة العلم؛ ليروج مذهبهم بينهم.

ومن هذه المصطلحات التي استُخدمت في غير موضعها: مصطلح "التأويل"، وقد ورد التأويل في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ على معنيين:

١. التأويل بمعنى التفسير: فتأويل الكلام يعني تفسيره وشرحه وبيانه وتقريبه للسامع، ومن ذلك قول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: "تأويل قول الله كذا" أي تفسيره، وقوله: "قال أهل التأويل" أي أهل التفسير.

٢. حقيقة الأمر وما يرجع إليه ويؤول، كتأويل الرؤيا إذا وقعت على وفق ما رآه الرائي.

فهذان المعنيان صحيحان لغة وشرعاً، ولكن أهل البدع استغلوا جهل ضعاف العلم في هذا الباب الخطير، فأدخلوا معنى ثالثاً لا يسوغ لغة ولا شرعاً، فقالوا: التأويل صرف اللفظ عن ظاهره المراد إلى معنى آخر غير مرادٍ بقريّةٍ مُدعاة. أو قالوا: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بقريّة.

ولما تأملنا استعمالاتهم لهذا المصطلح وجدناها في باب صفات الله عز وجل، فحرّفوها عن معناها المراد الموافق لظاهر الكتاب والسنة، والآثار السلفية وقواعد اللغة العربية، ثم اختلفوا في ما بينهم في المعنى المرجوح الذي تنصرف إليه هذه الكلمة على أقوال كثيرة، فالاستواء مثلاً أوّلهم بعضهم بالاستيلاء، وبعضهم بالاستعلاء، وبعضهم باستواء الملك، وبعضهم بالقصد، والخامس بالغلبة، والسادس توقّف فقال: فَعَلَ فِعْلاً سَمَّاهُ الاستواء ولا أعرف ما هو، والسابع بإتمام الخلف وتكميله، وهكذا إلى أقوال كثيرة مضطربة تدلّ على أن الجميع مخالفون للكتاب والسنة، كما

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢

والمشكلة في التأويل أن الأدلة العقلية التي فتحت باب التأويل على مصراعيه لم تحدّد له حدّاً، فأثبت الأشاعرة والماتريدية بعض الصفات الذاتية وأوّلوا الباقي، وجاءت المعتزلة فأوّلت جميع الصفات الذاتية والفعلية وأثبتوا أسماء جامدة غير مشتقة، وجاءت الجهمية فأوّلت جميع الأسماء والصفات، ولهذا قال السلف: "المعطلة يعبدون عدماً والمشبهة يعبدون صنماً"، ثم جاءت الباطنية على اختلاف مسمياتها فأوّلوا وجود الله عز وجل بالكلية، وقالوا: هذا الوجود بعينه وعيانه هو الله، فلا حقيقة لذات منفصلة عن هذا الوجود تُعبد، ولا فرق عندهم بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود.

وكلّ دليل عقليّ بزعمهم احتجّت به الأشاعرة والماتريدية على تأويل صفات الأفعال احتجّت به المعتزلة على تأويل صفات الذات، وكلّ دليل احتجّت به المعتزلة في ذلك احتجّت به الجهمية، وكلّ دليل احتجّت به الجهمية احتجّت به الباطنية، وهكذا لقّن بعضهم بعضاً حجته، ظلمات بعضها فوق بعض، وشبهات يركب بعضها على بعض، وبالتالي فكلّ دليل ردّت به الأشاعرة والماتريدية على المعتزلة في تحريم تأويل صفات الذات نردّ به عليهم في تحريم تأويل صفات الأفعال.. وهكذا.

إذن فالتأويل أصلٌ من أصول المتكلمين قاطبةً؛ ولذلك يُسمَّون "أهل التأويل" أو "المؤولة"،
والأولى أن يُسمَّوا "أهل التحريف أو المحرِّفة".

وهم يعمدون إلى هذا الأصل عندهم إذا عجزوا عن ردِّ النَّصِّ بالكلِّية، كآليات المحكمات
والأحاديث المتواترة، فيثبِّتون لفظها، ولكنهم يعطلُّون المعنى، فكأنهم لم يثبتوا شيئاً لله سبحانه
وتعالى.

والمتدبِّر لنصوص الكتاب والسنة يجد أنَّ الله سبحانه وتعالى قد تعبَّدنا بظاهر الكتاب
والسنة، وإلا لو فُتِحَ هذا الباب لما بقي شيءٌ على ظاهره من الكتاب والسنة، انظر مثلاً لبعض
تأويلات الباطنية: كتأويلهم الصلوات الخمس بالأسماء الخمسة: علي وفاطمة والحسن والحسين
ومحسن، وتأويلهم الحجَّ بزيارة مقابر الأئمة، والزكاة بأداء الخُمس، وقالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ﴾ (البقرة: ٦٧) قالوا: عائشة - عليهم من الله ما يستحقون-.

وهكذا رأينا أنَّ أهل البدع استعملوا هذا المصطلح في غير موضعه؛ لتعطيل الشريعة أصولاً
وفروعاً.

الصوفية:

من الفرق الإسلامية المؤثرة على عوام المسلمين - كما أثر علم الكلام على طلاب العلم وأفسد عقائدهم العلمية الخيرية-، أثرت الصوفية في عوام المسلمين، فأفسدت عقائدهم العملية، وإن كان للعقائد الأخرى حظاً في ذلك، ولكن الفساد الجلي في ذلك يظهر في العقائد العملية، أعني باب العبادات والاتباع، ولما كان التصوف يقوم على البدعة، والبدعة زيادة عمل على ما كان في زمن النبي ﷺ، احتاجوا بعد ذلك الى أدلة يدعون بها الناس إلى طاعتهم وإلى وجوب العمل بهذه البدع؛ فما وجدوا من ذلك في كتاب الله شيئاً، فاضطروا بعد هذا إلى اختراع مصادر جديدة في التلقي، وهو ما يسمى "الكشف"، وهذا الكشف المزعوم عند هؤلاء المتصوفة هو الدليل الوحيد في مشروعية جميع البدع التي اخترعوها والعقائد التي اعتقدوها.

والكشف أنواع كثيرة، منها:

١. ادّعاء رؤية الله سبحانه وتعالى والأخذ عنه مباشرة بلا واسطة، وهذا كثير في كلامهم، رأيتُ الله سمعتُ الله قال الله، وكلُّ ما أخذوه في هذه الحالة مخالفٌ لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.
٢. سماع الله عز وجل بلا رؤية، وهذا كثيرٌ في كلامهم، عند قولهم: هتف بي هاتف. يعنون به الله عز وجل.
٣. أن يُلقى في روع الولي شيءٌ لا يشك أنه من الله عز وجل، كقولهم: حدثني قلبي عن ربي.
٤. الأخذ من اللوح المحفوظ مباشرة إما بالعروج إليه من مكانه أو تنكشف عنه الحجب وهو في الأرض.

٥. الأخذ عن الملائكة، وهذا في كلامهم كثير جداً، فإن الملائكة بزعمهم يصحبونهم آناء الليل وأطراف النهار، ويشاركونهم في سماعهم ورقصهم، ومما أخذ الصوفية عن الملائكة قولهم: جلَّ الملك ملكنا لولا الملك هلكنّا.

٦. الأخذ عن النبي ﷺ وإلياس وإدريس والخضر يقظة لا مناماً، فإن الصوفية يدعون حياة هؤلاء كلهم، وأنهم يحضرون احتفالاتهم ويجتمعون معهم كل عام في ديوان الأولياء في غار حراء، ومن أشهر ما في هذا الباب ما يعتقد التيجانيون من لقاء شيخهم أحمد التيجاني بالنبي ﷺ يقظة لا مناماً وأخذه عنه "صلاة الفاتح لما أغلق" والتي هي عندهم خير من القرآن بمرات كثيرة.

٧. أخذهم عن الأولياء والأقطاب والأوتاد الأحياء في قبورهم إما بالسمع منهم مباشرة أو بفيوضات تفيض على من عكف على قبورهم.

٨. باب الرؤى المنامية، وهو باب واسع دخلت بسببه على الإسلام بلايا ورزايا وبدع كثيرة.

والتأمل في هذه المصادر السابقة يجدها تصرف الناس عن متابعة الكتاب والسنة اللذين لا نجاة للأمة إلا باتباعهما، وتفتح باب البدع على مصراعيه، فكلُّ يقول في دين الله ما يشاء ثم ينسب هذا إلى الكشف دون أدنى رقيب؛ لذلك دخل على الإسلام وأهله من الصوفية من البدع والمخالفات للكتاب والسنة مما لا يحصيه كثرة إلا الله عز وجل، ففي العالم الإسلامي اليوم أكثر من ألفي طريقة صوفية بنت عقائدها وعباداتها على هذا الكشف الوهمي، ونحن مأمورون باتباع الكتاب والسنة وترك مخالفة هذه المحدثات في الدين.

مسألة الخضر:

أجمع الصوفية على حياة الخضر عليه السلام، وأنه حيٌّ وموجودٌ في كل زمان ومكان، وأنَّ له قدرة على التنقل بين المدن والناس، وأنَّ كبار الصوفية قد التقوا معه وأخذوا آرائهم منه

وأخذوا بعض طقوسهم منه، بل إن الشريعة عندهم قد تُنسخ بكلماتٍ من الخضر، وهذا اعتقادٌ باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة والعقل، فالله عز وجل يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣. وقد توفي النبي ﷺ وما ترك باباً من أبواب الجنة إلا دلنا عليه، وما ترك باباً من أبواب النار إلا حذرنا منه، ثم قال ﷺ: ((تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك))^(١) والنصوص في هذا المعنى متواترة.

قال ابن حجر رحمه الله في رسالته المسماة بـ"الزهر النظر في نبأ الخضر": القول بنبوة الخضر وأنه مات قبل النبي ﷺ قطعاً أول كسر لباب الزندقة. فقد سُمي رحمه الله ما يعتقد هؤلاء المتصوفة من ولاية الخضر وأنه أفضل من كثير من الأنبياء والرسل وأعلم وأنه حي الآن زندقة؛ لأن من ابتدع هذه البدعة أراد الخروج على شريعة النبي محمد ﷺ كما هو حال كثير من المتصوفة في أورادهم وطقوسهم واحتفالاتهم، ولذلك عدَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هذا ناقضاً من نواقض الإسلام العشرة، فقال رحمه الله: من اعتقد أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة النبي محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى عليه السلام فقد كفر.

والأدلة على موته ونبوته كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِثْمُهُم مَّيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ الأنبياء: ٣٤. ومن السنة قوله ﷺ ((لا يأتي على الناس مائة سنة من ليلتهم هذه على وجه الأرض نفس منفوسة))^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٧/٢٨) برقم (١٧١٤٢)، ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١٥/١) برقم (٤٢) من حديث العرياض ابن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ ((لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم)) (١٩٦٦/٤) برقم (٢٥٣٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾
الكهف: ٦٥ وقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ الكهف: ٨٢ . وكلُّ من أوحى إليه بشرع فهو نبيٌّ.

ثم لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه قطعاً أن يأتي النبي ﷺ وأن يبايعه و يدخل بين زمرة أصحابه وأمته؛ لقول النبي ﷺ ((والذي نفسي بيده لو أن موسى بن عمران حيًّا لما وسعه إلا اتباعي))^(١).

وأما ما يروى في كتب الصوفية من مجيء الخضر إلى النبي ﷺ ومن لقائه به وأخذ أمورٍ خاصّةٍ منه فكلها قصص واهية لا يثبت إسنادها؛ ولذلك قال الصوفية: إنها ثابتة عن طريق الكشف. وقالوا: وإذا لقيت يوم الجمعة رجلاً خارجاً من باب السلام في المدينة ويده اليمنى لا عظم فيها فهو الخضر عند كثير من الصوفية.

الرافضة:

الرافضة فرقٌ كثيرة متباينة متنافرة، أعلاها الباطنيون الذين قال عنهم الغزالي رحمه الله: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض.

وأدناهم الزيدية، والزيدية كذلك فرق كثيرة، لكنها أقرب الفرق إلى أهل السنة، ومنهم الجعفرية من الرافضة، وعلماءهم - كما ذكر كثير من العلماء - زنادقة، وعوامهم رافضة.

ونحن يهمننا هنا أن نبين منهج هذه الفرقة فقط - أي الجعفرية الاثنا عشرية -؛ لكثرة مؤلفات علماءها، وشدة اختلاطها بأهل السنة، وزعمهم التقريب بين أهل السنة وبينهم، ولأنهم الآن ينشطون في بلاد أهل السنة داعين ومحاربين، ففي أفغانستان يحاربون أهل السنة بقوة السلاح

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٩/٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٧/١) من حديث جابر رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني في الإرواء برقم (١٥٨٩).

وكذلك في بلاد العراق وكذلك في بلاد الشام واليمن؛ لأن لهم فيها قوة وظهور، وأما البلاد التي لا قوة لهم فيها فإنهم يحاولون إشاعة الفوضى فيها.

أما البلاد التي فيها لأهل السنة ظهور قوي فإنهم يتمسكون فيها، ويحاولون الحوار والتقارب من أهلها حتى تتاح لهم الفرصة فيقضوا عليهم.

وهذه الفرقة من أفسد الفرق الإسلامية اعتقاداً وأقلها عبادةً وأفسدها معاملاتٍ وأسوأها أخلاقاً، فقد جَمَعَ لهم مَنْ صَنَعَ لهم هذه العقيدة الخبيثة كلَّ فسادٍ في الدنيا، أمّا منهمجهم الذي بنى عليه علماءهم دينهم فهو يتخلص فيما يلي:

١. مجموعة كثيرة من الروايات المكذوبة على آل بيت النبي ﷺ وُضِعَتْ على حسب معتقداتهم تماماً، وقد يلجؤون عند عدم قدرتهم على الوضع إلى اتباع منهج المعتزلة، فجمعوا في ذلك بين المتناقضات؛ فقد عطلوا عقولهم مقابل تلك الروايات المكذوبة، وعبدوها عند عدم الروايات.

٢. نشأ الرافضة في أمة النبي ﷺ على يد مجموعة من اليهود والمجوس باعتباره غزوًا فكريًا بعد أن عجزوا عن الغزو المسلح، وذلك بإدخال أفكارٍ أضلَّت الأمم السابقة وأفسدت أحوالها وفرقت جماعتها وضربت بعضها ببعض، حتى تصبح أمة النبي ﷺ كذلك، وقد حمل لواء هذا الغزو رجلٌ يهودي اسمه عبدالله بن سبأ اليهودي من يهود اليمن، أمه وأبوه يهوديان، أي أنه يهودي محض، فادَّعى الإسلام أولاً، ثم ادَّعى الصلاح ثانياً، ثم ادَّعى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالثاً، ثم ادَّعى الجهاد رابعاً، وقد استطاع في ذلك الزمان الوجيز في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يشقَّ جماعة المسلمين، وأن يُخْرِجَ فرقتين من فرق المسلمين لازال شرُّهما إلى يومنا هذا، وهما الخوارج والرفض، لذلك استطاع أن يجمع بعض الشباب المسلمين وبعض عوامهم ويعلنوا الجهاد على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه فوصل المدينة بقرابة ثلاثة آلاف من هؤلاء الخوارج وحاصرها شهراً ثم أجمعوا أمرهم على قتل

عثمان رضي الله عنه، فشعّبوا عليه وهو يخطب على منبر رسول الله ﷺ وأنزلوه وسجنوه في داره، مجاهدين في كلّ ذلك في سبيل الله بزعمهم، ثم اقتحموا عليه داره وهو صائمٌ يتلو كتاب الله عز وجل، فارتقى أحدهم على صدره وصاح: الله أكبر، ما بيني وبين دخول الجنة إلا أن أقتل هذا الشيخ. فذبحه مجاهداً في سبيل الله بزعمه.

وسوء الفهم للجهاد عند هؤلاء أخذوه من عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أثنى الخوارج قاطبةً بعد هذا على قاتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعدوه أكبر الناس إيماناً، وفي هذا الأثناء والظروف تفرقت أمة النبي ﷺ ونُسيت الثوابت، ودخل أهل الفساد فيها، وارتفعت السيوف وحصل ما حصل من أمور معلومةٍ كان الناس فيها ثلاثة أقسام:

١. قسمٌ مجتهدون مصيئون، وهم عليّ رضي الله عنه ومن معه، لهم أجران.
٢. قسمٌ مجتهدون مخطئون، وهم معاوية رضي الله عنه ومن معه، لهم أجر واحد، وخطؤهم مغفور.

٣. قسم ثالثٌ وهم الذين أنشؤوا الفتن وحرصوا على استمرارها وهم المنافقون الذين يقودهم عبد الله بن سبأ اليهودي ومن معه من عوام المسلمين ودهماءهم الذين دخلوا في حزب علي رضي الله عنه وتشيعوا له بدعوى أن ولايته كانت بوصية من النبي ﷺ، وقد استطاع هذا اليهودي أن يلقيّ لهم نصوصاً تذكر أن عليّاً هو الوصيُّ وحدّه، فتشيعوا لعلّي رضي الله عنه تدبُّناً، وكفّروا كل من خالفه بقتالٍ أو بغيره، وغلا بعضهم فيه حتى قال: هو هو. أو قال: أنت هو. فقال عليّ رضي الله عنه: من؟ فقالوا: الله رب العالمين. فغضب عليّ رضي الله عنه غضباً شديداً واستتابهم ثلاثة أيام، فرجع بعضهم، وبقي بعضهم على هذا المعتقد الباطل، فحرّقهم

بالنار، ففي صحيح البخاري أَنَّ عليًّا رضي الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرَّقهم بالنار^(١) وفي كتب السير يقول:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

ومن هنا خرجت فرقة الرافضة

وقد أحاطوا تلك الروايات المنسوبة كذباً إلى آل بيت النبي ﷺ بأمر خطير جدا حتى تروج على عوام الناس، وهو ما يسمى بعصمة الأئمة: أي سلامتهم من الذنوب والمعاصي صغیرها وكبیرها، ومن الخطأ والنسيان منذ الولادة حتى الموت، قالوا: لأنَّ الله عز وجل جعلهم أئمة يقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم، فلا يجوز والحالة هذه أن يخطئوا أبداً فيتابعهم الناس على أخطائهم.

و ردُّ على هذه الدعوة من وجوه:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ولم يامرنا بالرجوع الى كلام فلان ولافلان .

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع أصحاب النبي ﷺ ولزوم سبيل المؤمنين وسؤال أهل الذكر، ولم يقل أحد من أهل السنة والجماعة ولا من غيرهم بعصمة هؤلاء كلهم.

الثالث: أن عصمة النبي ﷺ أمرٌ مجمعٌ عليه، وهو إمام ﷺ وسنته سنة متبعة، وقد فسّر ﷺ بأقواله وأفعاله كتاب الله عز وجل، فلا حاجة إلى عصمة غيره ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمردة واستتابتهم (١٥/٩) برقم (٦٩٢٢).

الرابع: أن هؤلاء الأئمة المعصومين بزعمهم كانوا أحياء في القرن الثاني ثم دخل آخرهم السرداب من ذلك اليوم إلى يومنا هذا، ولم نعد نشاهده ولا نسمع منه، فما فائدة عصمتهم وقد انقرضوا في القرن الثاني؟.

الخامس: أن ما نُقِلَ عن هؤلاء الأئمة يجب أن يعامل معاملة ما نُقِلَ عن رسول الله ﷺ وهو المعصوم إجماعاً، وذلك بعرض تلك الروايات على قواعد أهل الحديث فما قبلته تلك القواعد قبلناه وما رددته رددناه، فتكون والحالة هذه تلك الروايات عن أولئك الأئمة إما موافقة للكتاب والسنة فتُقبل أو مخالفة فتُردّ، أو شرعاً جديداً فتكون من باب البدع المردودة، فلا حاجة بعد هذا إلى القول بعصمة أولئك الأئمة؛ لأنَّ النُقْلَ عنهم غير معصومين إجماعاً.

وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة:

تبين لنا مما سبق وسطية أهل السنة والجماعة أهل الحديث السلف الصالح الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بين فرق الأمة، وأنَّ الخلاف بين هذه الفرق بعضها مع بعض وبينها جميعاً وبين أهل السنة والجماعة من جهةٍ هو خلافٍ منهجي عقدي، يدور حول حجية الكتاب والسنة، والموقف الشرعي من فهم السلف الصالح لهذه النصوص، وحول الموقف الشرعي كذلك من علم الكلام والمنطق والفلسفة.

ولما كان أهل السنة والجماعة أعظم هذه الفرق تمسكاً بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً حفظهم الله عز وجل وعصم اجتماعهم، فلا يجتمعون على ضلالة أبداً قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿طه: ١٢٣ - ١٢٤﴾

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن: (ضَمِنَ الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة)^(١).

ولكن هناك أقفال كثيرة وموانع كثيرة تصدّ المسلم عن متابعة الكتاب والسنة، منها:

العادة: فإن العادة عند كثير من المسلمين هي أساس المنهج والمعتقد، كما قال النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))^(٢) فإذا قيل: لماذا الجهمي جهمياً؟ فالجواب: لأنه نشأ في بيئة جهمية، فاعتاد التَّجَهُّمُ فأصبح جهمياً، وهكذا الحال في

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٦/٧) برقم (٣٤٧٨١)، والحاكم في مستدركه (٣٨١/٢) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٩٤/٢) برقم (١٣٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤) برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المعتزلة، وكذلك الحال في الماتريدية والأشاعرة، وكذلك الحال في الصوفية والرافضة، فالعادة كاللغة تماماً، العربي عري بلغته وسائر الأجناس تتميز بهذه اللغة، وإلا فالجميع واحد كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العربي كل من تكلم بالعربية ولو كان من أبناء العجم، والأعجمي كل من تكلم الأعجمية ولو كان من قريش. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤ فالذي منع هذه الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة من تدبر كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ تلك الأقفال الكثيرة والتي من أهمها العادة، ولذلك جعل تركها ومتابعة النبي ﷺ شرطاً من شروط قبول العمل، وقد تليت هذه الآيات السابقة في مجلس عمر رضي الله عنه، فقال شاب من الأنصار: (إي والله يا رب إن على قلوبنا أقفالها وإن مفاتيحها بيدك اللهم افتح قلوبنا لفهم كتابك) فأعجب به عمر رضي الله عنه.

وإذا تدبّرت أصول الإسلام وجدت مذهب أهل السنة والجماعة خير هذه المذاهب وأعدلها وأوسطها، فهو وسط فيما يلي:

١. وسط في باب أسماء الله عز وجل وصفاته بين المعطلة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فلم يعطوا أسماءه ولا صفاته، ولم يشبهوه بخلقه، بل ساروا مع كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ إثباتاً ونفيًا.
٢. وسط في باب القضاء والقدر وأفعال العباد بين القدرية الجهمية الجبرية من جهة، وبين القدرية النفاة المعتزلة من جهة أخرى، فأثبتوا لله عز وجل المشيئة والإرادة اللاتقة بجلاله وعظمته، وأثبتوا للعباد المشيئة اللاتقة بضعفهم وعجزهم.

٣. وسط في باب أسماء الدين والإيمان والأحكام المترتبة على ذلك كحكم مرتكب الكبيرة، توسّطوا بين أهل الوعد والوعيد، أي بين الخوارج والمعتزلة من جهة، وبين المرجئة من جهة أخرى.

٤. وسط في معاملة المخالفين لهم بين سائر الفرق الإسلامية، فأهل السنة والجماعة يُحْطِئُونَ ولا يكفّرون إلا من كفره الله ورسوله ﷺ كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، فهم يعذرون الجاهل والمخطئ والناسي والغضبان، ومن زال عقله من شدة الفرح، والمتأوّل والمكره، ويطبّقون قول النبي ﷺ ((ادروا الحدود بالشبهات))^(١) على التكفير من باب أولى، أمّا بقية الفرق فإنهم يسارعون إلى التكفير بمجرد المخالفة، ولو كانت المخالفة يسيرة جداً، بل ويستبيحون دمه وماله وعرضه، ومن خالفهم كفّروه، ولذلك قال النبي ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))^(٢). قال غير واحد من السلف: (ما ابتدع مبدع بدعة إلا رأى السيف) يعني: إلا أجاز لنفسه قتل من خالفه بالسيف، وقد قُتِلَ بسيوف أهل البدع أربعة من العشرة المبشرين بالجنة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير ابن العوام، رضي الله عنهم جميعاً، وقُتِلَ غيرهم كثيرون إلى يومنا هذا.

(١) أخرجه الترمذي، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي؛ بلفظ: ((ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم))؛ من طريق يزيد بن زياد الدمشقي، وهو متروك، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن ماجه مرفوعاً: ((ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدافعاً))، وفي إسناده إبراهيم بن الفضل؛ ضعيف. وروي نحوه موقوفاً على عمر رضي الله عنه، وصحّح إسناده الحافظ في التلخيص. وروي نحوه موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وحسّن إسناده الألباني انظر: ضعيف سنن ابن ماجه (ص ٢٠٢) برقم (٢٥٤٥)، التلخيص الحبير (٤/٥٦)، نصب الراية (٣/٣٠٩)، الإرواء (٨/٢٥)

(٢) سبق تخريجه

وذلك لأنَّ البدع تزيل الولاء والبراء من قلوب أصحابها أولاً، وثانياً تزيل الثوابت، وثالثاً تزيل العقول، فما حال من زال عقله وزالت ثوابته وزال ولاؤه، ولذلك قال الشافعي رحمه الله: (إن الرجل يتصوَّف في الصباح فلا يأتي الظهر إلا وقد زال عقله). والواقع والحال يشهدان على ذلك .

ومن تتبع تاريخ الإسلام وجد أهل البدع أشد خطراً على الإسلام من فارس والروم واليهود والنصارى.

٥. وسط في آل بيت النبي ﷺ بين النواصب والروافض، فالنواصب: هم كل من طعن في آل بيت النبي ﷺ ومن آل بيته أزواجه رضي الله عنهن، والروافض عبدوا وأهَّوا آل بيت النبي ﷺ نفاقاً ومكرراً وكيداً بالإسلام وأهله، وطعنوا في أزواجه، فهم نواصب روافض

وتوسَّط أهل السنة والجماعة، فأحبوا آل بيت النبي ﷺ وعظموا آل بيت النبي ﷺ، وقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، وأشركوهم في صلاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٦. وسط في باب أصحاب النبي ﷺ بين المعتزلة والخوارج من جهة، وبين الروافض من جهة أخرى، فأهل السنة والجماعة يحبون أصحاب النبي ﷺ لماذا؟ لأنهم أصحاب النبي ﷺ فمحبة الرجل تستلزم محبة أصحابه، والطعن في الأصحاب مستلزم للطعن في الصاحب، لذلك قيل قديماً: قل من تُصاحب اقل لك من أنت. وقيل كذلك: من صاحب المصلين صلى ومن صاحب المغنين غنى. ولذلك قال بعض المتأخرين: يا شباب احذروا الشباب.

المبحث الأول: العمل بظاهر الكتاب والسنة في الأمور الاعتقادية

والعملية والرد على المخالفين في ذلك

الأخذ بظاهر الكتاب والسنة لاسيما في باب الاعتقاد، هذا هو الأصل والقاعدة الأولى والسمة الأولى التي تميز أهل السنة والجماعة من بين فرق الإسلام، وقد تدعى بعض الفرق هذا، وأنها تعمل بالكتاب والسنة، لكننا عند التطبيق نجد أعمالهم تخالف هذه الدعوى، فهم أهل تأويل وتحريف و ردٍّ، آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض الآخر، أما أهل السنة والجماعة فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ٢٨٥ .

ومن الأدلة على وجوب متابعة الكتاب والسنة والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه والأخذ بظاهره وعدم التكلف في تأويله وتحريفه ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْبَيْتِ﴾ آل عمران: ٧ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩ والآيات كثيرة.

ومن السنة قول النبي ﷺ: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))^(١).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٧١/١) وصححه، ووافقه الذهبي وقال: وله أصل في الصحيح، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٣٣١/٢٤) عن مالك بلاغا، وقال: هذا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد.

فان قيل: ما هو ظاهر الكتاب والسنة الذي يجب علينا الإيمان به والعمل به وتقديمه على كل فهم يخالفه؟ فالجواب: ظاهر الكتاب والسنة هو ما يفهمه كل مسلم يعرف اللسان العربي العادي الذي يستخدمه في التخاطب بين الناس في بيعهم وشرائهم وجميع حاجاتهم الدنيوية، فالذي يفهم قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الإسراء: ٧٨ يفهم قوله تعالى ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١ فلا فرق، ولذلك قالوا: لا بد لقبول ما يُدعى أنه ظاهر الكتاب والسنة أن تتوفر فيه عدة أمور:

١. أن يوافق هذا الظاهر بقية النصوص في الكتاب والسنة، فعندما تقول بأن ظاهر الكتاب والسنة يدل على استوائه على عرشه استواءً يليق بجلاله، وأن عرشه فوق سماواته يقول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ طه: ٥ ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فاطر: ١٠ ﴿ ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ الملك: ١٦. وقوله ﷺ: ((أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام))^(١). قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ غافر: ٧ فإذا أولت الاستواء يلزم تأويل العرش وحملته ومن حوله.

بخلاف من ادعى أن ظاهر الكتاب والسنة أن الله سبحانه في كل مكان بذاته، محتجاً بفهم سقيم لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ الحديد: ٤ وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٨٤. وهذا الفهم بسبب عدم جمعهم لنصوص

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية (٢٣٢/٤) برقم (٤٧٢٧) من حديث جابر رضي الله عنه، قال الحافظ في الفتح (٦٦٥/٨): إسناده على شرط الصحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٢/١).

الكتاب والسنة في بابٍ واحدٍ، ولو جمعوا بينها لفهموا معنى الآيتين، فالأولى تدل على سعة علمه وأَنَّهُ لا يخفى عليه شيء، قال تعالى ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ المجادلة: ٧، والثانية تدل على أَنَّهُ معبودٌ من السماء والأرض، فهذا ما دلَّ عليه ظاهر الكتاب والسنة وما دلَّت عليه النصوص مجتمعة.

ومن أصول أهل البدع: الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، كحال المرجئة والخوارج، عملوا ببعض النصوص وتركوا البعض الآخر.

٢. أن يوافق هذا الظاهر المدعى آثار السلف الصالح رحمهم الله، فكل فهمٍ يخالف فهم السلف الصالح فهو فهمٌ باطلٌ، قال الشافعي: (أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم وهنَّاهم بما أتاهم وقد فعل أولى مِنَّا بكل خيرٍ، وفهمُهم أولى من فهمنا لأنفسنا) ولذلك رتب الله عز وجل النجاة على الاتِّباع بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ﴾ والأنصار والذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التوبة: ١٠٠، ولذلك يسمى السلف الصالح أهل الحديث والأثر.

٣. لابد أن يوافق الظاهر المدعى قواعد اللغة العربية وأصولها وأساليبها الصحيحة؛ لأنَّ هذا القرآن عربيٌّ، والنبي ﷺ عربيٌّ، وإذا اختلفت العرب قدَّمتنا قريشاً؛ لأنَّ الصحابة جمعوا الناس على لغة قريش.

٤. أن يوافق هذا الظاهر المدعى العقل الصحيح والسليم، والفطرة السليمة التي لم تتلوث بأدران البدعة السيئة، فكلُّ ما خالف العقل الصحيح والفطرة السليمة فليس ظاهرٌ الكتاب والسنة؛ لأنَّه لا يخالفهما.

ومن العمل بالكتاب والسنة عدم التفريق بين نصوص الكتاب والسنة، وإعمالهما جميعاً، والجمع بين النصوص الواردة في المسألة الواحدة أو في الموضوع الواحد، ثم استنباط الحكم بعد ذلك؛ لأنَّ أهل السنة والجماعة يستدلون أولاً ثم يعتقدون، بخلاف أهل البدع فإنَّهم يعتقدون أولاً ثم يستدلون.

والإيمان بكل نصوص الكتاب والسنة والعمل بها أصل هام من أصول أهل السنة والجماعة، والإيمان ببعض نصوص الكتاب والسنة والكفر ببعض الآخر أصل من أصول المبتدعة، وهو من أعظم أسباب ظهور الفرق المتعارضة التي يدَّعي أصحابها العمل بالكتاب والسنة، فلو كانوا يؤمنون بالكتاب لما اختلفوا، كما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ البقرة: ٨٥ ، فطالب العلم الشَّيْء إذا أراد أن يبحث مسألة من مسائل العلم جَمَعَ أدلتها في موضع واحد، ثم ألزم نفسه وعقله بقبول ما دلَّت عليه النصوص مجتمعة، ولو خالفت مذهبه وعقله ومشايخه، كما قال غير واحد من السلف: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، وقالوا: "إذا رأيتم الحديث يخالف قولي فاضربوا بقولي عرض الحائط"، وقال الإمام مالك: "كلُّ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلا صاحب هذه الحجة ﷺ".

المبحث الثاني: لزوم طريقة النبي ﷺ والحذر من البدع وأهلها والرد على المخالفين في ذلك

تعظيم سنة النبي ﷺ والعناية بها والتفريق بين صحيحها وسقيمها في أبواب الدين في الفروع وفي الأصول أمر عظيم، وأصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهذا مما اختص به أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع؛ فإنهم لم يرفعوا لسنة النبي ﷺ رأساً، ولا أقاموا لها وزناً، بل قابلوها بالرّد والتأويل والتحريف، ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد، أمّا أهل السنة والجماعة فلكثره انشغالهم بحديث النبي ﷺ سُموا أهل الحديث والأثر، وهم أولى الناس بإصابة الحق، كما ذكر ذلك الإمام أحمد بن حنبل عند قوله ﷺ: ((لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله))^(١) قال رحمه الله: "إن لم يكونوا أهل الحديث فما ادري من هم"، وذلك لأنهم حققوا معنى الإيمان بالنبي ﷺ على أربعة أركان هامة معلومة مشهورة:

أولاً: تصديقه ﷺ فيما أخبر.

ثانياً: ترك ما نهي عنه ﷺ وزجر.

ثالثاً: طاعته ﷺ فيما أمر.

رابعاً: و ألاّ يُعبد الله إلّا بما شرع

ويدخل في هذا أمرٌ هامٌ جداً، ألا وهو العمل بخبر الآحاد الصحيح في باب الاعتقاد، وهذا مما انفرد به أهل السنة والجماعة دون سائر المبتدعة، فإنهم ردّوا كلام النبي ﷺ بعدّة شبه، من أشهرها:

(١) سبق تخريجه

عدم حجية خبر الآحاد في الاعتقاد؛ لأن المعتقد بزعمهم لا يُبنى إلا على اليقين، وخبر الآحاد يفيد الظن، فيردُّون قولَ النبي ﷺ الذي رواه العدل الضابط عن مثله إلى النبي ﷺ من غير شذوذ ولا علةٍ بهذه الشبهة، ويقبلون كلام مَنْ دونه مع شذوذه وعلته.

ولنضرب مثلاً على هذا: فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام حقيقي، وكلامه بحرفٍ وصوتٍ، وأن الله سبحانه وتعالى يكلم من شاء وبما شاء، فهو يكلم ملائكته عليهم السلام بما شاء سبحانه وتعالى أطراف الليل وآناء النهار، وكلم أبانا آدم عليه السلام، وكلم موسى عليه السلام، وكلم نبينا ﷺ وكلم الذرية وهم في أصلاب آبائهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، وسيكلم أهل الموقف وأهل الجنة يوم القيامة، والأدلة على هذا كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، وقوله ﷺ : ((إن الله ينادي يوم لقيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيقول يارب وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فعند ذلك يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى))^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يأجوج ومأجوج (١٣٨/٤) برقم (٣٣٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، (٢٠١/١) برقم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وقوله ﷺ: ((اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف))^(١)، فأنكر المبتدعة هذا كله، وردوا ظاهر الكتاب والسنة فقالوا: إن كلام الله مخلوق، وقال آخرون: إن الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت بل كلامه نفسي لا يُسمع، يلقي الله عز وجل على الملك ما يفهم به الملك كلام الله عز وجل دون أن يتكلم سبحانه بحرف وصوت، ثم يلقي الملك ما فهمه من كلام الله عز وجل على رسله عليهم السلام، وكلامه واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، إن عبّر عنه بالعبرية صار تورا أو عبّر عنه بالسريانية صار إنجيلاً، أو عبّر عنه بالعربية صار قرآناً.

ولهم شبه كثيرة في ردّ ظاهر هذه النصوص المباركة، منها: أن الأحاديث التي تحدثت بالحرف والصوت أخبارٌ آحاد ظنية الدلالة ظنية الثبوت، وقد عارض ما هو أقوى منها من القطعيات، من ذلك معارضتها بقول الشاعر النصرائي الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

قالوا: فالأخطل عربيّ ولسانه حجة، فكلامه قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وقد ورد في هذا البيت أن أصل الكلام هو الكلام النفسي، والقطعي مقدم على الظني في مثل كلام النبي ﷺ: ((إن الله ينادي يوم القيامة بصوت))^(٢).

والجواب: أن هذه الشبه سببها عدم تعظيم نصوص الكتب والسنة، وعدم الاستسلام لنصوص الكتاب والسنة، وعدم التّحاكم لنصوص الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر (١٧٥/٥) برقم (٢٩١٠)، من حديث ابن مسعود، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧٠/٧)

(٢) سبق تخريجه.

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥ إذ كيف يتصور عاقل أن يُردَّ كلامُ الله ورسوله ﷺ بكلام النصارى، لكنَّه الخلل في المنهج، وهذا سبب التقليد وعدم التفكير في نصوص الكتاب والسنة. وتأويل النصوص بحجة أنَّ ظاهرها غيرُ مرادٍ من أعظم الشُّبه في ردِّ نصوص الكتاب والسنة في باب الاعتقاد خاصة، بتحريفها وصرفها عن ظاهرها، وهو ما يسمى -ظلماً وعدواناً- تأويلاً، وهذا من باب تسمية الأشياء بغير اسمها؛ للترويج على ضعف طلبة العلم، وهذا من أعظم انتشار البدع، وهو مبني على القاعدة المشهورة "لبس الحق بالباطل"، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ غَافِلِينَ﴾ البقرة: ٤٢ ، فلبس الحق بالباطل أعظم طريق لنشر البدعة فإن للبدعة وجهان:

- أ- وجهٌ ظاهره الحُسن، كتزويه الله تعالى عن مشاهة المخلوقين بزعمهم.
ب- وجهٌ قبيح وهو تعطيل نصوص الكتاب والسنة.

فيخفي أهلُ البدع الوجهَ القبيح، ويظهرون الوجهَ الجميل، فتروجُ البدع عند من لم يعرف حالهم، قال البخاري رحمه الله: "كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن قال امرؤ القيس:

الحرب أول ما تكون فتية	تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها	ولت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء ينكر لوئها وتغيرت	مكروهة للشم والتقبيل".

ومثل ذلك ما يفعله أهل السياسة من ترك التحاكم لنصوص الكتاب والسنة واستبدالها بالقوانين الوضعية بدعوى الحرص على وحدة الأمة والعدل والمساواة بين الشعوب، أو ما يفعله بعض الاقتصاديين من تعطيل للمعاملات الإسلامية واستبدالها بالمعاملات الرأسمالية والاشتراكية بدعوى أنَّ هذا أنفع للاقتصاد، وتسميتهم الربا فوائد بنكية، أو تسمية الخمر عند أهلها

بالمشروبات الروحية، فهذا كله لا يغيّر من حقيقة هذه الموصوفات شيئاً، فتسمية التحريف تأويلًا وتسمية التعطيل مجازاً لا يغيّر هذه المعاني الفاسدة التي ردّوا بها الكتاب وسنة النبي ﷺ. والعجب من تناقض أهل البدع، فإنهم في باب الأسماء والصفات والأفعال فتحوا باب التأويل والتعطيل على مصراعيه، بل أوجبوا ذلك وزعموا كفر من خالفهم بدعوى مشابهة الله تعالى للمخلوقين، وفيه بقية المعتقد ألزموا أنفسهم بالأخذ بظاهر الكتاب ولو كان تأويلهم سائغاً، ولذلك قسموا العقيدة إلى قسمين: عقلياتٍ وسمعيّاتٍ، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى: ١ أوّل المتكلمون هذه الصفة، وقالوا: المراد به علو الشأن والغلبة والعقاب والقهر، أو هو علو مجازي، وفي مثل قول النبي ﷺ: ((أُحَدِّثُ بِحَبْنَةِ نَجْبَةٍ))^(١) قالوا: على ظاهره؛ لأن هذا عندهم من باب السمعيات.

وفي مثل قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ الكهف: ٧٧ ﴿وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤، فجعلوها من باب المجاز؛ ليتوصلوا بذلك إلى جواز المجاز في القرآن وبالتالي جواز المجاز في صفات الرحمن.

ومن أعظم الكتب وأنفعها في الرد على هؤلاء كتاب "منع جواز المجاز عن الكتاب المنزل للتعبد والإعجاز" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، وقد سمّى شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله التأويل طاغوتاً والمجاز طاغوتاً، وردّ على أهلهم من وجوه كثيرة في كتابه "الصواعق المرسلة".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه (١٠٣/٥) برقم (٤٠٨٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب أحد يحبنا ونحبه (١٠١١/٣) برقم (١٣٩٢) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

ومن تعظيم سنة النبي ﷺ عدم مجالسة أهل البدع أو قراءة كتبهم أو نقل شبهتهم في كتبنا، ومن ذلك عدم الاستماع إلى محاضراتهم الصوتية، أو مشاهدة قنواتهم الفضائية، أو الدخول في منتدياتهم العنكبوتية، أو قراءة تغريداتهم .

والبدعة في اللغة: ما أُحدث على غير مثال سابق. وفي الشرع: يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليه الزيادة في التعبد. وقد استفاض في كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ التحذير من البدع وأهلها، وبيان سوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، وأنها من أعظم أسباب تفرق الأمة وضعفها، واستيلاء أعدائها على خيراتها، وسبب هذا كله أنَّ البدعة ترك متابعة النبي ﷺ، فالابتداع ضد الاتباع، ويعني هذا أن المبتدع مخالف لمنهج النبي ﷺ راغب عن سنته، ولذلك فإن النبي ﷺ وقف من البدعة وأهلها مواقف عظيمة جداً، أعظم من موقفه ﷺ من أهل الكبائر، فقد جاء ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ إلى بيوت النبي ﷺ وسالوا عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، ثم قال بعضهم لبعض: هو عبدٌ غَفَرَ الله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، أما نحن فما ينجينا إلا كثرة العمل. فقال أحدهم: أنا أقوم ولا أنام. و قال الآخر: أنا أصوم ولا أفطر. وقال الثالث: أنا أترهب وأترك النساء. فلما بلغ ذلك النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، وجمع الناس فقال: ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا أما ان أعلمكم وأتقاكم وأخشاكم لله أنا ثم قال وأنا أقوم وأرقد وأصوم وأفطر وأكل اللحم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧) برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه (١٠٢٠/٢) برقم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فأنت أخي طالب العلم تلاحظ أن النبي ﷺ تبرأ ممن أراد أن يخترع منهجاً يخالف منهجه ﷺ في العبادات ولو كانت نيته حسنة، فالنية وحدها لا تكفي، بل لابد من المتابعة ليكون العمل خالصاً صحيحاً متقبلاً.

ولما قال ذلك الرجل للنبي ﷺ: اتق الله يا محمد أو اعدل يا محمد أو أن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله. وصف النبي ﷺ حال ذلك الرجل وحال أتباعه فقال: ((إنَّ له أصحاباً تحتقرون قراءتكم إلى قراءتهم وصلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم قاتلوهم)) أو قال: ((إن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد)) أو قال: ((شر قتلى تحت أديم الماء أو قال كلاب النار كلاب النار))^(١) وأحاديث الخوارج من الأحاديث المتواترة، وسبب هذا الموقف العظيم والله أعلم خطورة هذا المنهج على الإسلام وأهله، وأن الجهل في أتباعه أعظم سببٍ لبعدهم عن الحق، ولذلك لا ينفع في مثلهم إلا القتل، وشأنهم في ذلك شأن المحاربين وقطاع الطرق الذين تسلطوا على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم من أجل الدنيا، والخوارج فعلوا هذا كله من أجل الدين بزعمهم.

فقد قرأ وفقك الله بين هذين الموقفين العظيمين من أهل البدع وبين قوله ﷺ عن ذلك الرجل الذي أدمن الخمر في عهد النبي ﷺ - وكان يؤتى به مراراً فيقام عليه الحد-، فطعن به بعض الصحابة رضي الله عنهم، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وقال: ((فوالله ما علمت إلا أنه

(١) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٨/٢) برقم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و(٧٤١/٢) برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يحب الله ورسوله))^(١) وعندما أقيم الحد على تلك المرأة التائبة قال الرسول ﷺ عنها: ((والله لقد تابت توبة لو قسمت على أهل المدينة لو سعتهم))^(٢). وهذا يدلنا على أن خطر البدعة وأهلها أعظم من خطر كبائر الذنوب

والبدع تفسد كذلك عبادات أهلها، وفي ذلك يقول النبي ﷺ ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))^(٣) وفي رواية ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))^(٤). ولذلك قال عبد الله بن مسعود: (الاقتصاد في السنة خير الاجتهاد في البدعة)، وقال الحسن البصري (لا يزداد صاحب البدعة اجتهاداً صيماً ولا صلاةً إلا ازداد من الله بعداً).

والبدعة كذلك تنقص لهذا الدين الكامل، وطعن في الله ورسوله ﷺ قال الإمام مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعة وهو يراها حسنة فقد زعم أن النبي ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣. فما لم يكن يومئذ دين فليس هو اليوم دين).

والمعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها، قال الإمام مالك رحمه الله: (لا توبة لمبتدع). يعني والله أعلم صعوبة التوبة على المبتدع؛ لأنه يظن أنه على السنة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب ما يُكره من لعن شارب الخمر (١٥٨/٨) برقم (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (١٣٢٤/٣) برقم (١٦٩١) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (١٨٤/٣) برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأعظم ما تكون البدعة في المناهج العلمية ومصادر التلقي، ولا سيما في أصول الدين، وقد خطَّ رسول الله ﷺ يوماً لأصاحبه خطاً فقال: ((هذه سبيل الله)) ثم خطَّ عن يمينه وشماله خطوطاً خارجةً منه وقال: ((هذه السبل على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إلى النار من أطاعه)) ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣ (١).

وكان السلف الصالح رحمهم الله يقولون: (لا تجالسوا أهل البدع فيمضوا قلوبكم).
و لما بلغ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حال القدرية الأولى قال للسائل: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني.

وهجر أهل البدع على التفصيل المشهور أصل من أصول أهل السنة والجماعة، و أما تأليف قلوبهم بالإحسان إليهم فإنَّ هذا الأمر مشروعٌ بحدود الضوابط الشرعية؛ لأنَّ أهل البدع يجتمع فيهم الحب في الله والبغض في الله، فمن أجل هذا تحتاج معاملتهم إلى دقَّة بلا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣٦/٧) برقم (٤٤٣٧)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ (٩٥/١٠) برقم (١١١١٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال الحاكم في المستدرک (٢٦١/٢): صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

المبحث الثالث: الصبر والثبات على ما جاء في الكتاب والسنة والرد

على المخالفين في ذلك

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ العصر: ١ - ٣. أقسم الله عز وجل بالعصر - وهو الدهر - على

أنَّ جنس الإنسان في ضلال وخسران إلا إن اتصف بهذه الصفات الأربع:

١. العلم والإيمان بالله.

٢. العمل بهذا العلم.

٣. الدعوة إلى هذا العلم.

٤. الصبر على الأذى فيه.

والصبر: حبس النفس على طاعة الله عز وجل، وحبسها عن معصية الله عز وجل، وحبسها

على الرضى بقضاء الله وقدره؛ رجاء الفوز بثواب الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِى

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ الزمر: ١٠.

ومن أعظم أسباب افتراق الأمة عدم الصبر على ما جاء به النبي ﷺ، والابتداع في دين

الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝﴾ الشورى: ٤٣ وقال

رسول الله ﷺ: ((إن أعظم ما أتخوفُ عليكم رجلٌ قرأ القرآنَ حتَّى إذا رُئيتُ بهجتهُ عليه وكان

ردئًا للإسلام غيَّره إلى ما شاء الله فانسَلخ منه ونبذهُ وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف

ورماه بالشرك)) قال: قُلْتُ: يا نبي الله أيُّهما أولى بالشرك المرمي أم الرامي؟ قال: ((بل الرامي

((^(١))، ولذلك كان أكثر دعاء النبي ﷺ ((اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك))^(٢) .

فتبيّن بهذا أن معرفة المنهج الحق والعمل به من أعظم أسباب الثبات على دين الله عز وجل، وأنّ عدم معرفة المنهج الحق وتركه من أعظم أسباب الفرقة والضعف والذلة.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣/١)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٢/١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٨/٢٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٠٨/٧).
 (٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٠/١٩) برقم (١٢١٠٧)، والترمذي في جامعه، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٤/٤٤٨) برقم (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث حسن. وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (١٢٦/٥).

المبحث الرابع: الاقتداء بالسلف الصالح والعناية بآثارهم والأخذ بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة والرد على المخالفين في ذلك.

تعظيم أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم والعناية بآثارهم وتقديم فهمهم على فهمنا لنصوص الكتاب والسنة، هذه السمة المباركة أظهر سمة تُمَيِّز أهل السنة والجماعة عن سواهم من الفرق، فإن جميع الفرق الإسلامية تنتسب إلى رجالٍ دون الصحابة رضي الله عنهم، فالجهمية تنتسب إلى الجهم بن صفوان، والمعتزلة تنتسب إلى واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد، والأشاعرة تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، والماتريدية تنتسب إلى أبي منصور الماتريدي، وكلاهما ينتسب إلى محمد بن كُلاب السجستاني، وكل طريقة صوفية تنتسب إلى شيخ معين، وكما يقال: لكل شيخ طريقة، ولكل طريقة شيخ.

أمَّا أهل السنة والجماعة فإنما ينسبون أنفسهم إلى السلف الصالح عامة، وهم أرفع الناس إسناداً؛ حيث ينسبون أنفسهم إلى أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، محققين بذلك قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ أَمَّهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: ١١٥ ، ولذلك فإنهم سالمون من بدعة التعصب والتحزب، فما جاء عن أصحاب النبي ﷺ قبلوه وعملوا به واتخذوه ديناً، ولا سيما عند تعارض أقوال الصحابة رضي الله عنهم مع أقوال غيرهم ممن أتى بعدهم، فأقوال الصحابة عند السلف سُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ، وفي هذا يقول النبي ﷺ في حديث العرباض المشهور: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة

بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))^(١)، وفي حديث الافتراق المشهور يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله قال: من كانت على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))^(٢).
ولذلك اعتنى أهل السنة والجماعة بأقوال الصحابة رضي الله عنهم جميعاً فقهاً واتباعاً وتركاً لما خالفها في الأصول والفروع، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (يا أيها الناس من كان منكم مُستَنّاً فليستَنَّ بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن الفتن، أولئك أصحاب النبي ﷺ كانوا أبرَّ الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ولنقل دينه فاعرفوا لهم قدرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

ولذلك كان السلف يسمون أهل الحديث والأثر، يقول الإمام أحمد رحمه الله:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار

لا تغفلنَّ عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار

ويقول الذهبي رحمه الله تعالى:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين النصوص وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمدا حذرا من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

قال الإمام بن القيم رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

وهذا المعنى مأخوذ من قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

ومن قول الإمام مالك رحمه الله: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر عليه السلام، وقد نظم ذلك بعضهم شعرا فقال:

قال أبو حنيفة الإمام	لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقوالي حتى تعرضا	على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة	قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول	ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن وجدتم	قولي يخالف الذي رويتم
من الحديث فاضربوا الجدارا	بقولي المخالف الآثارا
وأحمد قال لهم لا تكتبوا	ما قلته بل أصل ذاك فاكتبوا

ولا فرق عند السلف الصالح رحمهم الله تعالى في هذا الباب بين أصول الدين وبين فروعه، ولذلك ملأوا كتبهم بالآثار السلفية، ومن ذلك تفسير الطبري وابن أبي حاتم وعبد الرزاق، ومن ذلك ما يسمى بكتب السنة، بل إن الإمام أحمد قال إن الإجماع المنعقد المقبول هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم قبل تفرقهم، أما إجماع من بعدهم فغير منضبط، وقد أخذ هذا من قول عبد الله بن مسعود: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح) يريد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك عناية السلف رحمهم الله تعالى بكلام علماء الأمة المشهود لهم بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم كالأئمة الأربعة رحمهم الله أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً. فإنَّ السلف الصالح رحمهم الله تعالى يعظّمون هؤلاء الأمة وكبار تلامذتهم، ويعرفون فضلهم في هذا الباب، وقد سئل ابن تيمية عن مسألة في معتقد الشافعي رحمه الله تعالى فقال: الأئمة

الأربعة في المعتقد سواء إلا مسألة واحدة خالف فيها الإمام أبو حنيفة الثلاثة، وهي دخول الأعمال في مسمى الإيمان، والخلاف لفظي، وقد صحَّ رجوعه عن هذا القول فلم يبق خلاف بينهم والله الحمد رب العالمين والمنّة.

ولذلك فإن السلف الصالح رحمهم الله تعالى لا يعيرون الانتساب إلى أحد من هؤلاء الأربعة، فيجيزون للرجل أن يعرّف نفسه بقوله فلان ابن فلان الحنفي أو الشافعي أو المالكي أو الحنبلي أو السلفي أو الأثري، لأن رتبة الاتباع جائزة عند الجميع، وإنما يعيرون التعصب إلى أفرادهم أو إلى مجموعهم، ولذلك قال بعض متأخري الأحناف: ليس عيباً أن تكون حنفيّاً وإنما العيب أن تجعل القرآن والحديث حنفيّاً. ولذلك يجب التفريق بينما عليه هؤلاء الأئمة المتقدمين السلفيين الأثريين من معتقد صحيح واتباع صحيح وبينما عليه بعض المنتسبين إليهم من بدع وخرافات ابتدعوها أو تابعوا فيها متبدعاً، والأئمة رحمهم الله براءٌ منها.

فالتمذهب شيء والتعصب شيء آخر، وكلما ازداد طالب العلم معرفةً بأقوال هؤلاء الأئمة ازداد حبّاً لهم وتعظيماً، وعرف قدرهم وقدر علومهم، وما يقع الطعن إلا من جاهلٍ، فإذا صح الانتساب إلى بعض أفرادهم دون نكير صحَّ الانتساب إلى مجموعهم دون نكير، فإذا صح أن تقول أنا حنفي أو مالكي أو شافعي أو حنبلي صحَّ أن تقول: أنا سلفي من أهل الحديث وإذا امتنع أن يقول: سلفي. امتنع أن يقول: حنفي. وهكذا، وهذا مما يميّز أهل السنة والجماعة عن سواهم، فهم مُتَّبِعُونَ غير متعصبين.

المبحث الخامس: حفظ العقول عن الخوض فيما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة من الأمور الغيبية والرد على المخالفين في ذلك

العقل عند أهل السنة والجماعة مناط التكليف، وشرط من شروط قبول العمل، فمن لا عقل عنده لا تكليف عليه، ومن زال عقله بالكلية زال التكليف عنه، ومن زال عقله مؤقتاً كالنائم والسكران زال التكليف عنه مؤقتاً، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: ((رفع القلم عن ثلاثة الصغير حتى يبلغ والنائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يفيق))^(١)، ولكن لما كان عادة أهل البدع لبس الحق بالباطل وردّ نصوص الكتاب والسنة تعظيماً للعقل لبسوا على الناس أمرين:

أ- جعلوا ما ليس بعقل عقلاً.

ب- رفعوا العقل فوق نصوص الكتاب والسنة.

فإن الأدلة العقلية أدلة معتبرة من نصوص الكتاب والسنة، وهي كل ما دلت عليه الضرورة أو بداهة دوم التأثير بمؤثرات خارجية، ولذلك خاطب الله عز وجل العقول كثيراً، وخاطب القلوب التي هي أوعيتها كثيراً، في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤ و ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٤/٤١)، وأبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً (١٣٩/٤) برقم (٤٣٩٨)، والنسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج (٢٥٦/٥) برقم (٥٥٩٦)، والترمذي في جامعه، أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد (٨٤/٣) برقم (١٤٢٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم (٦٥٨/١) برقم (٢٠٤١). قال ابن الملقن في البدر المنير (٢٢٥/٣-٢٢٦): "هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام يدخل فيها ما لا يحصى من لأحكام، له طرق أقواها طريق عائشة رضي الله عنها". وصححه الحاكم في مستدركه (٦٧/٢) ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الإرواء (٤/٢)

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٤﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٩﴾ ، ولذلك فإن السلف الصالح يقولون: لا تعارض أبداً بين النقل
الصريح والعقل الصريح.

أما أهل البدع فالعقل عندهم هو ما ترجمه علماءهم من كلام الفلاسفة الدهريين وكلام
الفلاسفة الإلهيين، حيث حسّنوا ظنهم بهم وعظموهم وعظموا كلامهم، وعارضوا به نصوص
الكتاب والسنة، وجعلوا الوحي فرعاً وتابعاً، والعقل أصلاً، وجعلوه من باب اليقينيات، وجعلوا
نصوص الكتاب والسنة من باب الظنيات، وجعلوا العقل حكماً على نصوص الكتاب والسنة،
حتى قال قائلهم: ما رآه العقل حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه العقل قبيحاً فهو عند الله
قبيح. بل جعلوا النجاة والإيمان الصحيح في اتباع هذه العقول المزيفة، والكفر والضلالة في
متابعة الكتاب والسنة، قال الصاوي في حاشيته على الجلالين: (لا يجوز الخروج عن أقوال
الأئمة الأربعة وإن خالف قولهم الكتاب والسنة فإن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول
الظلال والكفر) وقد ردّ عليه ابن حجر القطري رحمه الله في رسالة سماها "تنزيه السنة والقرآن
من أن يكون من أصول الظلال والكفران" بيّن فيها منهج أهل السنة والجماعة في وجوب
العمل بظاهر الكتاب والسنة، وأن ظاهرهما هو ما يفهمه عامة المسلمين ممن يُحسن اللسان
العربي دون تكلف، وردّ على منهج المتكلمين الذي جعلوا عقولهم حكماً على كتاب الله عز
وجل.

وعندنا في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية رسالة قيمة في
منهج ابن حجر القطري، ذكر هذه الرسالة، وبيّن فيها موقفه من ظاهر الكتاب والسنة،
والرسالة مطبوعة، وقد ردّ على الصاوي كذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء
البيان في تفسير القرآن عند قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ عَذَابُ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ

يَشَاءُ اللَّهُ^١ وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٣﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤

وقال السنوسي المالكي الأشعري: أصول الكفر ستة. ذكر منها: الأخذ بظاهر الكتاب والسنة دون عرضه على الدلائل العقلية. فما ندري بعد هذا ما حال أصحاب النبي ﷺ وحال التابعين لهم بإحسان أهل القرون المفضلة الثلاثة الذين لم يعرفوا هذه الأدلة العقلية وإنما عملوا بظاهر لكتاب والسنة عند هؤلاء

ثم تدرّج الأمر بهم إلى أن جعلوا هذا الأمر قانوناً كلياً عطّلوا فيه وبسببه كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ كما عطّل كثيرٌ من أهل السياسة الشرع الإلهي واستبدلوا به القوانين الوضعية، فهذا الرازي وهو إمام المتكلمين الذي جاؤوا بعده قد نسق لهم هذا القانون وضبطه فقال: إذا تعارضت الظواهر النقلية مع القواطع العقلية نتج عن هذا أربعة أمور:

١. إما أن نقبل الجميع، وهذا محال؛ لأن ذلك يؤدي إلى قبول المتناقضين.
٢. أن نرد الجميع، وهذا محال؛ لأنه يؤدي إلى رد المتناقضين.
٣. أن نقبل النقل ونطعن في العقل، وهذا محال؛ لأنّ الطعن في العقل طعنٌ فيهما؛ لأن النقل لم يثبت إلا عن طريق العقل.
٤. ولم يبق إلا أن نقبل العقل ونؤوّل على سبيل التبرع النقل حتى يدخل تحت العقل.

وهذا القانون المكون من أربع جمل رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عشر مجلدات، لأن هذا القانون لقّن أعداء الكتاب والسنة عذراً، ولبّس على ضعاف طلبة العلم ولبّس الحق بالباطل، وهو من أعظم أنواع ما يصُدُّ الناس عن دين الله.

والحقيقة أنّ أسعد الناس بالبراهين العقلية هم أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أعملوا عقولهم فيما تطيقه، فالعقل كما مرّ معنا آلة مخلوقة لها قدرة محدودة، إن استخدمته وفق هذه القدرة وهذه الطاقة عمِلَ وأفاد، وإن تجاوزت به الحد اللائق هلكت وأهلك، شأنه في ذلك شأن

بقية الجوارح، فالعين مثلاً جارحة تبصر بها المبصرات، ومن ذلك قدرتها على رؤية الضوء وتمييزه ومعرفة أنواعه وألوانه، لكنها لا تستطيع الصمود أمام ضوء الشمس لدقائق معدودة وإن كانت كاسفة فإنها تصدر ضوء يحرقها، وكذلك الاعضاء الجسدية الأخرى، فربما قاتل بعض الناس أخاه وصرعه، وربما صرع الإنسان قط صغير جداً، وكمن يصارع الأسد أو غيره، فالعقل يحمي نفسه لا يعرض جسده للهلاك أبداً، وكذلك السلف الصالح حموا عقولهم عن الخوض فيما لا تطيقه، وآمنوا وصدقوا خبر الله وخبر رسوله ﷺ عن المغيبات، أما غيرهم فقد وقعوا فيما نھوا عنه فضلوا وأضلوا .

ومن أعظم الأدلة على فساد هذا العلم البارد "المنطق ونحوه" رجوع كثير من علماء آخر حياتهم عنه ولزومهم الكتاب والسنة، ومن هؤلاء الرازي رحمه الله تعالى صاحب القانون الكلي له أبيات مشهورة جداً سارت بها الركبان:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وأكثر مسعانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وقال رحمه الله في الوصية المطبوعة في المجلد الأول في تفسيره حاثاً على اتباع الكتاب والسنة ومحذراً من مناهج أهل الكلام: (لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي غليلاً، ووجدتُ الخير كله في كتاب الله أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥ وقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر: ١٠ ونقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١ وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الأنعام: ١٠٣ وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ طه: ١١٠) ثم قال رحمه الله كلمة حرية أن تكتب بماء الذهب: (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)

ولا يوجد أحد مما جاء بعده يستطيع أن يجرب كتجربته إلا أن يشاء الله، ولذلك فإن الواجب على المبتدعة من أهل الكلام ترك هذا المنهج الفاسد الصادّ عن الكتاب والسنة، فهذا الإمام العظيم مع طول معرفته وكثرة تبخّره رجع إلى منهج السلف الصالح، فرجوع الشيخ أعظم أسباب رجوع التلميذ إن أراد الله له الهداية، وإلا فالخفافيش الذين لا يعتبرون بتجارب العلماء يصرون على بدعتهم، ويحاربون الله ورسوله من حيث لا يشعرون ومن هؤلاء كذلك الشهرستاني رحمه الله تعالى حيث قال:

لعمري لقد طفئت المعاهد كلها وسيرت طريقي بين كل المعالم
فم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم
وقد رد الصنعاني رحمه الله تعالى فقال:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن ولاه من كلا عالم
فما حار من يهدى بهدى محمد ولست تراه قارعا سن نادم

وقد أخذ رحمه الله هذا من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿طه: ١٢٣ - ١٢٤﴾ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (ضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة).

فان قيل: ما موقف السلف الصالح رحمهم الله تعالى من بعض النصوص التي يُشعر ظاهرها معارضة الأدلة العقلية؟

الجواب: لا تعارض أبداً بين النقل الصحيح الصريح وبين العقل الصحيح الصريح، فإن وُجد شيء من ذلك نظرنا إلى النقل، فإن صحَّ عملنا به وألزمنا عقولنا قبوله، وإن كان النص ضعيفاً ردناه وعملنا بمقتضى العقول السليمة، ومع هذا فإن أهل البدع متناقضون كما مرّ،

فهم لا يحاولون الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية كطريقة السلف الصالح الماضية، وإنما يأخذون منها ما وافق بدعهم ولو كان ضعيفاً، ويردون ما خالفها ولو كان صحيحاً.

المبحث السادس: محبة المسلمين والحرص على جماعتهم ووحدة كلمتهم والرد على المخالفين في ذلك.

الحب في الله من أعظم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وتحقيق هذه المحبة والإتيان بلوازمها تجتمع الأمة وتتألف القلوب وتنزل رحمة الله علينا، والعكس بالعكس، ولذلك قام منهج أهل السنة والجماعة على هذا الأصل العظيم وهو تحقيق الأخوة في الله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(١)، فالإسلام هو القاسم المشترك بين المسلمين، فلا قيمة لأجناسهم ولا لألوانهم ولا لأحزابهم ولا طرقهم، وإنما العبرة في الدخول في الإسلام وتحقيق التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

ولا يخالف ما قدّمنا من ضرورة هجر أهل البدع؛ لأنّ هجرهم أمر طارئ، والحديث هنا عن الأصل، وترك ما أحدثه المحدثون من مناهج علمية فاسدة تخالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فلا يجوز للداعية اليوم ولا لطالب العلم أن يخترع منهجاً في الدعوة إلى الله تعالى يخالف منهج النبي ﷺ وأصحابه، ومن ذلك وجوب الدخول في جماعة المسلمين وإمامهم، وهذا أمر خالف الإسلام فيه أمور الجاهلية، فاللزم للإسلام المسلمين السمع والطاعة لمن ولّاهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٢/١) برقم (١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١) برقم (١٧) .

الله عز وجل أمرهم في غير معصية الله، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وذلك من أجل حماية الإسلام وأهله من الضياع، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، بل إن علماء الحديث رحمهم الله جعلوا كتباً خاصة في الإمامة في سننهم ككتاب الإمامة في صحيح مسلم، ومن أشهر الأحاديث في ذلك الكتاب -وهو في البخاري أيضاً- حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر... إلى قوله فقال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم))^(١)

وإن الخلل الواقع بسبب الجهل في هذا الأصل العظيم من أعظم أسباب تفرق الأمة وضياعها في القديم والحديث، فقد قُتل عثمان رضي الله عنه بسبب ذلك، وقامت الفتن العظام بسبب ذلك، وقُتل علي رضي الله عنه بسبب ذلك، ولا تزال الأمة تعاني من أسباب ذلك إلى يومنا هذا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (١٩٩/٤) برقم (٣٦٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (١٤٧٥/٣) برقم (١٨٤٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن معرفة منهج أهل السنة والجمعة والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه من أوجب الواجبات على طلاب العلم، فكما رأينا من خلال البحث السابق أن الجهل بهذا المنهج أو تعمُّد تركه مع العلم به من أعظم أسباب الفرقة، فالوصية بعد هذا لطلاب العلم دراسة منهج أهل السنة والجماعة دراسةً تفصيليةً، والبداءة به قبل كل شيء، فإنَّه لا سلامة لنا إلا بذلك، وفي الحقيقة فإنَّ كل سمة من سمات أهل السنة والجماعة تحتاج إلى زيادة بحث، بل وتصلح أن تكون موضوعاً لبحثٍ في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم العقيدة.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

١	المقدمة
٦	خطة البحث
٧	منهج البحث
٩	التمهيد
١٠	المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة
١١	المطلب الثاني: أشهر المخالفين لأهل السنة والجماعة
٣١	المبحث الأول: العمل بظاهر الكتاب والسنة في الأمور الاعتقادية والعملية والرد على المخالفين في ذلك
٣٥	المبحث الثاني: لزوم طريقة النبي صلى الله عليه وسلم والحذر من البدع وأهلها والرد على المخالفين في ذلك
٤٤	المبحث الثالث: الصبر والثبات على ما جاء في الكتاب والسنة والرد على المخالفين في ذلك
٤٦	المبحث الرابع: الاقتداء بالسلف الصالح والعناية بآثارهم والأخذ بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة والرد على المخالفين في ذلك
٥٠	المبحث الخامس: حفظ العقول عن الخوض فيما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة من الأمور الغيبية والرد على المخالفين في ذلك
٥٦	المبحث السادس: محبة المسلمين والحرص على جماعتهم ووحدة كلمتهم والرد على المخالفين في ذلك
٥٨	الخاتمة